علاقة أحمد العدواني مع المثقفين العرب وأثره على الساحة الثقافية العربية **

حمزة عليان *

هناك تصوّر مغلوط عن الشاعر أحمد العدواني بأنه منعزل اجتماعيا غارق في تأملاته الفلسفية، وهذا التصور خاطئ كما يشرحه الباحث الأكاديمي والشاعر د. خليفة الوقيان: «فهو منغمس في النضال ضد كل الشرور والآثام والممارسات الشاذة، وأبرز ملامح إنتاجه الفكري، غزارة ثقافته، فهو يجمع بين التعمّق في التراث العربي الإسلامي والمواكبة لكل ما هو جديد فيه علوم المعاصرة، ولهذا نجد ضيوف الكويت من المفكرين والأدباء العرب والمستشرقين يحرصون على زيارته وإدارة حوارات مطولة ومعمقة معه».

عندما تولّى العدواني قيادة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كان على رأس أولوياته إصدار مطبوعات يرفد بها المكتبة العربية على نطاق واسع، وهو ترجمة لرؤيته الشاملة نحو الثقافة والمثقفين العرب، فكانت سلسلة كتب عالم المعرفة ومجلة الثقافة العالمية وسلسلة التراث العربي.

تزامل مع صديقه؛ رائد الحركة المسرحية حمد الرجيب في مدينة المدن بالقاهرة، وكتب عنه كيف كانا يتناقشان معا حول فكرة القصيدة وسهولة توصيلها إلى المجتمعين الخليجي والعربي، وفي القاهرة تشكّلت عنده ملامح الشخصية المستنيرة من خلال دراسته في كلية اللغة العربية بالأزهر.

كانت الإصدارات التي أشرف عليها وهو في وزارة الإرشاد والأنباء شاهدة على سعة أفقه وثقافته، وملمّا بكل ما يتطلبه الإعلام من نشر للثقافة المحلية والعربية.

عن مستوى علاقته بالمثقفين العرب، تشير د. دلال الزبن إلى ملامح من مشروعه التنويري الذي آزره فيه رفيقاه عبدالعزيز حسين وحمد الرجيب، والقائم على:

1 - صلته القريبة بشخصيات عربية وذات وزن في الساحتين الثقافية والفنية وتعاونه معهم أمثال: أحمد أبوزيد - د. فؤاد زكريا - د. محمد إسماعيل الموافي - سعيد خطاب - رتيبة الحفني - محمد القصاص - أحمد بهاء الدين - عبدالرحمن الشرقاوي - صلاح عبدالصبور.

2 - صاحب مشروع عربي يتّسع لكل الأفكار والتيارات، جعل من الكويت عاصمة ثقافية عربية.

عندما ظهرت النوادي الثقافية والمهنية في السنوات الأولى من الخمسينيات، ظهر أحمد العدواني قُطبا من أقطاب "نادي المعلمين"، وواحدا من رؤساء تحرير مجلة الرائد.

كانت أزهى فترة بتاريخ المجلس الوطني للثقافة تلك التي تولّى فيها قيادته؛ فترة أعطى للكويت وجهها الثقافي المشعّ في دائرتيه الخليجية والعربية.

ومن الصعب على أي باحث في تاريخ الكويت الثقافي أن يتطرّق إلى هذا الموضوع دون أن يتوقف عند عطاءات الشاعر والأديب والمثقف أحمد العدواني، فقد ترك بصماته على الثقافة الكويتية والعربية.

وأنا أطالع الكتاب التذكاري الذي أصدرته رابطة الأدباء عنه، وهو من إعداد الأستاذين د. سليمان الشطي وسليمان الخليفي، تَسمَرتْ عيناي على كلمات قيلت في العدواني وأسماء عربية دوّنت ذكرياتها عنه، وبما يعطي صورة واضحة عن الأثر الذي تركه على الساحة الثقافية العربية، فالدكتور فؤاد زكريا عرفه منذ اضطلاعه بمهمة إصدار "عالم المعرفة" المشروع الذي سيستفيد منه عشرات الآلاف من المتطلعين للثقافة في الوطن العربي، وهي الفكرة التي انبثقت من ذهن هذا الرجل، وفي شهادته تلك يقول: "لقد اتفق الجميع على أن لهم رسالة تعلو على كل روح إقليمية ضيقة، هي نشر التنوير الثقافي في وطننا العربي على أوسع نطاق".

كان العدواني، بحسب وصف زكريا، "وجها مشرقا لبلده ولأمته، يملك القدرة الفريدة على اكتساب حب الناس واحترامهم".

أما شاكر مصطفى الذي عرفه عن قرب ووصفه بأنه صاحب المشاريع الثقافية الكبرى، وبصماته تجدها في كل فقرة أقدم عليها، وكانت له دُنياه الفكرية التي طوى نفسه عليها قراءة وتأمّلاً وشعرا.

وهذا د. صدقي حطاب، الذي التقاه أول مرة عام 1955 في بيت الكويت بالقاهرة، ثم بمدينة نابلس بفلسطين، وعمل في المؤسسات التي كان يعترف فيها بأنه "هيأ له فرصة لمعرفة وثيقة ولتوطيد عرى صداقة حميمة"... فقد كان وراء إنشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية، كما يروي حطاب، ووراء إقامة المواسم الثقافية ما بين 1955 و1959، التي كانت تدعو إليها كبار المفكرين من الوطن العربي، والتخطيط لمؤتمر الأدباء العرب الرابع الذي عقد في الكويت عام 1958.

لقد تجاوز نشاطه في المجلس الوطني للثقافة حدود الكويت، فوصل إلى أرجاء الوطن العربي كافة؛ سواء عن طريق الأسابيع الثقافية أو معارض الكتب أو المعارض الفنية أو مطبوعات المجلس.

من كان يزور الكويت لا بُد أن يزور العدواني، كما ينقل حطاب، وهو يتخيل أولئك الأصدقاء، ومنهم أحمد أبوزيد وأحمد حمروش وحسين مؤنس وعبدالرحمن بدوي ومحمود مكي ومحيي الدين صابر وإحسان عباس وناصرالدين الأسد ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد وإبراهيم شبوح ومنصور الحازمي ومحمد جابر الأنصاري ومحمود السمرة وبشير البرغوثي وعلي الراعي، وغيرهم أصدقاء كانوا يجدون لديه حرارة اللقاء وصدقا في الود ومحاورا فطنا، ساهم في عمل لجنة الاستراتيجية الثقافية العربية

من الشعراء والمجددين في أربعينيات القرن العشرين، له قصائد نشرت في مجلة البعثة.. هنا بعض أبياتها:

وطني بحقك هل حفظت لغائب
حق البنوة من هوى الآباء
أنا ابنك الحاني عليك ولن ترى
كحنوّ قلبي واكتمال وفائي
وطني الكويت ومهد كل منجد
شهم وكل نجيبة حسناء
نلت المنى وبلغت كل مؤمّل
وتكفلتك رعاية الأمناء
واحتل نجمك في السماء محلّةً
عليا تسامت كوكب الجوزاء
درر الخليج أحدهن تألقا
من دون ساطع نجمك الوضاء
وتأصلت فيك الفنون وأطلعت
منك المعارف أخلد الأسماء

عام 1981 لوضع خطة شاملة للثقافة العربية.

ربما كان الناقد والكاتب وليد أبوبكر أكثر الكُتّاب العرب قدرة في التعبير عن دور العدواني ومكانته وأثره، فهو لم يكن عابرا في الثقافة العربية، لأنه واحد من المؤسسين، حين كان التأسيس يبدو حلماً، وأبرز صفاته ذاك الإنسان والفنان حيث تكمن فيه غيرته وإحساسه بأن الإبداع في أي مجتمع هو إبداع كلّي.

علاقته بالمثقفين العرب امتدت إلى أرجاء العالم ووصلت إلى أميركا، كما نقرأ في شهادة الأديب عبدالرزاق البصير، الذي يروي حديثا سمعه من وزير التربية السابق د. حسن الإبراهيم، مجمله "أنه دُعي إلى وليمة غداء في بيت شخص من الجالية العربية في أميركا"... ويكمل د. الإبراهيم: "لقد أبصرت حين أتيت إلى حجرة الجلوس عدداً كبيراً من كتاب عالم المعرفة، وحين سألت مضيفي عن سبب اقتنائه لهذا الكتاب، أجاب: إنه هو الجسر الذي يصل بيننا في أميركا، وبين الثقافة العربية، فشكراً للكويت على هذا الجهد الذي تبذله في بناء الفكر والمعرفة".

ويختم د. حطاب شهادته بالقول: "وجدت منه استقبال الأخ لأخيه، جلست معه مدة طويلة نتحدث عن شؤون الثقافة العربية، كان يرى أن الآمال لا تتحقق بالعاطفة، بل بالعمل الصحيح، كان يستمع لآرائه التي يعتمد فيها على الأدلة لا العاطفة.

وفي مرآة الناقد الساخر والكاتب عبدالله الشيتي له ملامح من أثره الثقافي وشخصيته يرسمها كالتالي: "كان زاهداً بالألقاب، لم يعرف في حياته الصحافية والأدبية إنسانا كبيرا بحق زاهدا بالمظاهر والمفاخر وحب الظهور مثل أحمد العدواني، وأحب الألقاب إليه "أبو مشاري"، كان مهموما حقا بالأدب والفن والثقافة، وعنده أن تلك الركائز لكل نهوض حضاري، وكل تقدّم ومنافسة مع الآخرين.

في الكتاب الصادر عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بعنوان "العدواني.. وثائق وصور"، نطالع زياراته إلى محيطه الجغرافي، بدءا من إمارة الشارقة برفقة عبدالعزيز حسين، وجولته على المدارس الكويتية هناك، وصورة جميلة مع الشاعر نزار قباني عام 1984 أثناء زيارته للكويت، والرئيس عبدالناصر إلى جانب وزير الإعلام الشيخ جابر العلي، ومع فؤاد زكريا وصور له أيام البعثة التعليمية بالقاهرة في الخمسينيات، ومؤتمر الأدباء العرب في الكويت.

ولعلي أمام مخطوط كتبه بيده موجّه إلى د. إمام عبدالفتاح إمام يُشعره فيه عن مؤلفاته الثلاثة "المنهج الجدلي عند هيغل"، و"أصول فلسفة الحق" و"كير كغور" رائد الوجودية، وهو في قراءته لهذا الكتاب كأنه يقرأ لأحد الأئمة المتصوفة في الإسلام، كذلك مخطوط آخر تلقاه من د. زكي نجيب محمود عام 1972، وثالث من الشاعر نزار قباني.

وللدلالة على عظيم مكانته على المستويين الخليجي والعربي، وأثره على الساحة الثقافية، وقع الاختيار على اسمه من قبل مؤسسة جائزة سعود عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، ليكون حاضرا في الدورة التي تُعقد سنويا.

وكان الإجماع على أنه يستحق الاختيار عن جدارة لصفاته الفنية والعامة، باعتباره أحد رجالات الثقافة العرب البارزين لما حققه من إنجازات، وفي الكتاب المخصص عنه "العدواني في عيون معاصريه" كتب الراحل عبدالعزيز البابطين كلمة أشار فيها إلى "أن الكتاب يكشف الكثير من الجوانب، فقد كان بحقّ أحد المؤمنين القلائل بالعمل الصامت في خدمة الوطن والثقافة العربية، ويكفي أنه أسس سلسلة كتب عالم المعرفة، وعالم الفكر، وسلسلة مسرحيات عالمية، ومجلة الثقافة العالمية، وأسس معرض الكتاب العربي، وغير ذلك من الإنجازات".

إن استعراض الدراسات والبحوث التي كتبت عنه وتناولت شعره وفنّه وإنتاجه الفكري، كافية لمعرفة الأثر الذي تركه على الساحة الثقافية العربية، والدراسات هي حسب تسلسلها التاريخي: أحمد الشرباصي 1953 - ود. إبراهيم عبدالرحمن 1971 - ود. محمد حسن عبدالله 1976 - ود. شاكر مصطفى 1981 - والأستاذ سعيد فرحات 1981 - والأستاذ فيصل السعد 1989 - ود. حسن فتح الباب 1990 - والأستاذ علي عبدالفتاح 1990 - ود. نورية الرومي 1991 - ود. جابر عصفور 1992 - ود. مختار أبوغالي 1993 - ود. خليفة الوقيان 1993 - ود. سليمان الشطي 1993 - ود. عبده بدوي 1995 - والأستاذ محمد يوسف 1996.

* باحث وإعلامي من لبنان

** قُدّمت ورقة البحث خلال فعاليات معرض الكويت الدولي للكتاب 48، في إطار تخصيص شخصية المعرض عن "شاعر الوطن وأيقونة الثقافة العربية".